دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 45، عدد 4، ملحق 4، 2018

عقدة التفوق في الفكر الديني اليهودي وأثرها في الشخصية اليهودية

*اسلام عبد الوهاب الشوابكة، محمد الخطيب**

ملخص

يهدف هذا البحث إلى مناقشة إحدى أخطر القضايا أثراً في الواقع العربي المعاصر وهي عقدة التفوق عند اليهود، حيث يسلط الضوء على مفهوم هذه العقدة، وأسبابها المتأصلة في جوهر الفكر الديني اليهودي، ومظاهرها، وأثرها في الشخصية اليهودية في التعامل مع الآخر خارج دائرة شعب الله المختار.

الكلمات الدالـة: الفكر الديني اليهودي، الشخصية اليهودية، عقدة التفوق.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

كان للعقائد اليهودية أثر واضح في صياغة مقومات خالفت وصايا موسى ﷺ والأنبياء من بعده، وتجاوزت المنطق والعقل في بناء الشخصية اليهودية، وهي مقومات ترتكزُ في مضمونها على جملة من عقائد متطرفة، رسخت عصبية عنصرية خرافية، نقلت بها اليهود من عقدة الشعور بالنقص والعجز جراء ما لحق بهم في فترة السبي والشتات إلى عقدة التفوق والتميز على جميع أمم الأرض؛ لاعتقادهم بأنهم **(شعب الله المختار)**، متجاهلين بذلك أن اختيار الله وتفضيله لهم؛ ما كان إلا لسمو الرسالة التي أمروا بحملها، إلا أنهم فشلوا في ذلك، فَسُحِب هذا الاختيار والتفضيل عنهم، من هنا عانت البشرية على مر تاريخها عنفاً ممنهجاً، وإبادة جماعية، وهضماً للحقوق، واستلاباً للأموال والممتلكات؛ فالسجل اليهودي ضد شعوب الأرض يحفل بالأمثلة الدالة على ذلك، وبسبب خطورة هذا الموضوع وأهميته ومن أجل ربط علمي وموضوعي بين عقدة التفوق في الشخصية اليهودية والعقائد التي تؤمن بها، جاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذه العقدة من حيث مفهومها، وأسبابها، ومظاهرها، وأثرها في الشخصية اليهودية في تعاملها مع الآخر، ليظهر للقارئ أن أفعال اليهود وسلوكهم لم يكن نابعاً من فراغ إنما كان بناءً على شعور بالتفوق والتميز نسجته جملة من العقائد التي اختطتها أقلام كهنة اليهود وأحبارهم في ثنايا نصوصهم المقدسة؛ فنظرت الشخصية اليهودية إلى بقية شعوب العالم بفوقية واستعلاء وغطرسة حين اعتقدت أن كل ما في الأرض من بشر وأموال وممتلكات يعدُ حقاً شرعياً وملكاً أبدياً لا بد من السيطرة عليه، أو استرداده في حال وجوده مع الآخر.

مشكلة الدراسة:

- ما المقصود بعقدة التفوق عند اليهود، وما أبرز مضامينها؟
- ما الأسباب والدوافع التي أدت إلى عقدة التفوق عند اليهود؟
- ما أثر عقدة التفوق عند اليهود على سلوكهم ومحيطهم الإنساني؟
- ما مظاهر التفوق العرقي عند اليهود؟

أهمية الدراسة:

- تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على الأسباب والدوافع التي أدت إلى اعتقاد اليهود بتفوقهم على سائر البشر من

* كلية الشريعة الجامعة الأردنية، الأردن. تاريخ استلام البحث 2016/5/29، وتاريخ قبوله 2016/12/23.

خلال دارسة النصوص الدالة على اعتقاد اليهود بتفوقهم ونقائهم العرقي من كتبهم ومصادرهم المقدسة.

– كما تكمن أهمية الدراسة في توضيح أثر عقدة التفوق عند اليهود في بناء وتكوين الشخصية اليهودية ونزعتها نحو العنف والسيطرة وفرض الذات وتشكيل الواقع وسن التشريعات بما يخدم مصالحها للوصول إلى أهداف مزعومة كلفت البشرية على مدار التاريخ الكثير من الجهد والدماء.

أهداف الدراسة:

- توضيح المقصود بعقدة التفوق عند اليهود، وإبراز مضامينها.
- كشف الأسباب والدوافع اتي أدت إلى اعتقاد اليهود بتفوقهم.
- بيان أثر عقدة التفوق عند اليهود على سلوكهم ومحيطهم الإنساني وخاصة ما يتعلق باحتلالهم لفلسطين.
- توضيح مظاهر التفوق العرقي عند اليهود.

منهجية الدراسة:

يتبع الباحث المنهج الوصفي القائم على:

المنهج التاريخي: وذلك من خلال جمع نصوص العهد القديم والتلمود والكتب اليهودية لاستخلاص أسباب ودوافع عقدة التفوق عند اليهود، وقراءة التاريخ اليهودي لبيان أثر هذه العقدة في الشخصية اليهودية وسلوكها في المحيط الإنساني من حولها.

المنهج التحليلي: ويعتمد على تحليل النصوص التوراتية والتلمودية من أجل فهم مضامين عقدة التفوق عند اليهود وأسبابها، ومظاهرها، وأثرها في الشخصية اليهودية ومدى انعكاس ذلك على الواقع.

الدراسات السابقة:

خلال بحثي في فهارس المكتبات الجامعية والكليات المتخصصة والمجلات العلمية التي تعنى بالدراسات والأبحاث علمت أن هذا البحث لا يوجد ضمن قاعدة المعلومات المتوفرة، وظهر لي أنه لا يوجد بحث بهذا العنوان الذي سأتطرق إليه، اللهم إلا رسالة قدمت للحصول على درجة الماجستير بعنوان "أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى" إعداد هند بنت دخيل الله القثامي، بإشراف أ.د. احمد بن عبد الرحيم السايح من جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية 1421هـ وقد تضمنت الدراسة ثلاثة أبواب ومقدمة وخاتمة تناولت فيه الباحثة تاريخ اليهود ومصادرهم، وعلاقة اليهود بغيرهم من خلال نظرتهم لأنفسهم باعتبارهم شعب الله المختار، وأثر النصوص والمصادر التوراتية والتلمودية في موقف اليهود من غيرهم من الأمم، ويلاحظ أن الدراسة لم تفرد أسباب ودوافع اعتقاد اليهود باختيار الله لهم وربطها بموضوع العقائد اليهودية بل اكتفت بذكر الصفات التي امتاز بها اليهود عبر التاريخ ووصفها بالاستمرارية دون ربطها بالعقائد التي يؤمنون بها أو توضيح أسبابها.

أما ميزات الدراسة الحالية فإنها تتخصص في موضوع عقدة التفوق عند اليهود من حيث مفهومها وأسبابها، ومظاهرها من خلال إرجاعها إلى أصولها العقدية، ودراسة وتحليل النصوص الدالة على ذلك من مصادر اليهود وكتبهم المقدسة باعتبارها القاعدة الأساسية التي تنطلق منها نظرة اليهود لأنفسهم ولغيرهم، وتوعية القارئ بمدى تأثير هذه العقدة في تشكيل الشخصية اليهودية، وتأثير هذه الشخصية في الواقع المحيط بها.

خطة الدراسة:

قسمت الدراسة إلى أربعة مطالب وخاتمة، وقد جاءت على النحو الآتي:

المطلب الأول: التعريف بعقدة التفوق عند اليهود

المطلب الثاني: أسباب عقدة التفوق عند اليهود

المطلب الثالث: مظاهر أسطورة التفوق العرقي عند اليهود

المطلب الرابع: عقدة التفوق وأثرها في الشخصية اليهودية

وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في إعطاء الموضوع حقه من البحث والتمحيص، فإن أصبت في ذلك فمن توفيق الله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: التعريف بعقدة التفوق عند اليهود

يدعي اليهود بأنهم شعب عضويٌ له عبقريته الخاصة، وأن ثمة جوهراً يهودياً هو الذي يميز اليهودي عن غيره من البشر، وأن هذا الجوهر لا يتغيرُ بتغير الزمان والمكان، فاليهود دائماً يهود[1]، مهما تغيرت الأزمان والأحوال؛ وما هذا الشعور إلا انطواءٌ حول عرقٍ[2] من النسب، يتخيل الإنسان أنه ينتمي إليه، فيدفعه ذلك إلى الإحساس بالتميز على بقية البشر، وإضمار الحقد، والاحتقار لهم، واعتقاد التفوق والمزية في الأصل الذي يتعصب له الإنسان[3]. وهذا ما تشربه اليهودي منذ أن كان طفلاً، حيث كان "يغذى دائماً وقبل كل شيء سواء في المدرسة الدينية، أو البيت بأنه **شيء ما** أكثر من كونه مؤمناً **بشيء ما**، وبأنه يعتزُ بكونه يهودياً، أكثر من اعتقاده باليهودية، وهو منذ الصغر(...) يُشرّبُ التحدث والأفكار عن عالم فيه: **نحن** و**هم**"[4]، وهو أمر ينبئ بأن لدى اليهود جميعاً اقتناعاً طاغياً بروابط العرق، وليس لديهم – سوى الأقلية الصغيرة منهم – أدنى اهتمام بالروابط الروحية لله، ولا يظهر هذا الشعور العنصري المرضي إلا في مجتمع مصاب بعقدة الضَّعة، مع تأخر فكري وثقافي[5]، والذي يلخص إصابة اليهود بهذا المرض، ما يردده أحبارهم في التلمود مثل قولهم: "**كما أن العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء، فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل**"[6]، وقولهم لو لم يخلق اليهود، لانعدمت البركة من الأرض، لأنهم بحسب التلمود جزء من الله – على حد زعمهم – [7]، وما تكرره أسفارهم: "**لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ**"[8] و"**وَوَاعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا، كَمَا قَالَ لَكَ، وَتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، كَمَا قَالَ**"[9].

ويرى جوزيف هيللر – أحد مفكري الصهيونية الكبار – أن اليهود "ليسوا طائفة دينية وحسب، وإنما لهم طبعٌ قويٌ متميز، وفرديةٌ خاصة بهم احتفظوا بها على مدى التاريخ..."[10] وهو يشير بذلك إلى أن النقاء العرقي العنصري الذي جمع أبناء جنسهم، والذي اكتسب قداسة وتميزاً في الاسم والثناء والبهاء، كما يزعمون بما هو وارد في أسفارهم، هو الشيء المميز الذي يسمو بهم فوق جميع الأجناس الأخرى؛ فالقدسية والحلول الإلهي قد بقيت تسري في عروقهم؛ لذلك يحذرهم إلههم دوماً من الاختلاط بالأمم والشعوب الأخرى؛ لأنهم إذا حافظوا على نقاء عرقهم الذي حلّ فيه الإله، فإن هذا يعني استعادة الإله لكماله واستمرار بقائه، لأن بقاء الشعب اليهودي يعني بقاء الإله، "وقد صرح الحاخام بوروتيز (...)بأن الدولة الصهيونية إبان حرب 1967م، لم تكن وحدها المهددة بالخطر، بل كان هذا الخطر محدقاً بالإله نفسه"[11] وهذه العقيدة **الحلول الإلهي في العرق اليهودي** ما هي إلا لتبرير تفوقهم المصطنع واستعلائهم على بقية البشر، وانفصالهم، وانعزالهم عنهم. وقد نادى الكثير من علماء الاجتماع بظاهرة النقاء العرقي منها ما أصدره "الكونت جوزيف آرثر دوغوبينو (1816–1882)" أحد ممثلي الأرستقراطية الفرنسية في كتابه **مقالٌ حول عدم تساوي الأجناس البشرية**، وفيه يبين أن العامل الذي يحدد حركة التاريخ، والحضارة ليس الاقتصاد والتطور المادي؛ وإنما الجنس، وأن عدم تساوي الأجناس كافٍ لشرح مجمل عملية تجلي مصير الشعوب، وأن هناك ثلاثة أجناس رئيسية: الأبيض، والأصفر، والأسود؛ والجنس الأبيض هو المتفوق، والتاريخ يبين أن الحضارة بكاملها لم تكن لتوجد دون مساعدة هذا الجنس، وأن هذه العائلة البشرية اللامعة هي الأنبل بين الجنس البشري، وجوهر الجنس الأبيض هم الآريون[12]، لذلك يرى أنه طالما بقي الجنس الآري نقياً من الاختلاط بالأجناس الأخرى فإنه يكون مؤهلاً للازدهار[13]، وقد شكلت أفكار غوبينو، وغيره من المفكرين أساساً متيناً للمفكرين اليهود[14] الذين وضعوا نظرياتهم العرقية في خرافة نقاء الدم اليهودي، استناداً لآراء المفكرين الغربيين، إلى جانب النصوص التوراتية، وحيث إنهم أفضل الأجناس وأنبلها كان من حقهم أن يكونوا سادة العالم وبقية الأجناس عبيداً عندهم.

ولكن، هل ادعاء اليهود بأنهم الجنس النقي الذي ينتسب إلى بني إسرائيل حقيقة؟

عند النظر في التاريخ، وعلم الاجتماع نجد بحوثاً اجتماعية وتاريخية، "تؤكد أن اليهودي يُعدُّ من أبعد الجماعات البشرية عن النقاء العنصري الذي يدّعيه، وفي ذلك يقول العلامة السويسري أوجين بيتار: "إن جميع اليهود في نظر علماء الأنثروبولوجيا[15]،على الرغم من كل ما يدعيه اليهود المنضوون تحت الفكرة العنصرية الإسرائيلية، بعيدون عن الانتماء إلى جنس يهودي"[16]، وكما يقول رينان: "لا توجد سحنة يهودية، بل هناك عدة سحنات يهودية"، ويضيف حسن ظاظا ايضاً: " لا نستطيع أن نَعُدَّ اليهود الحاليين مكوّنين لكتلة بشرية ذات عنصرٍ واحد، ولا حتى في فلسطين(...)؛ فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية، اندمج فيها في كل عصور التاريخ أشخاص من أجناس متباينة، وكان أولئك المتهودون يدخلون فيها من جميع الآفاق المسكونة بالبشر، من اليهود الأحباش – الفلاشة – إلى اليهود الاشكناز من الجنس الجرماني (...) إلى اليهود الأفارقة الزنوج إلى اليهود الهنود(...) واليهود الخزر الذين ينتمون إلى الجنس التركي، فهل هناك من هذه الأنواع الإسرائيلية نوع يعتبر من ناحية التشريح، والتحليل ممثلاً حقيقياً ونقياً للجنس اليهودي؟"[17]، ولا يعلم سبب إنكار اليهود لإمكانية اختلاط أجناس متباينة في حظيرة اليهودية، على الرغم من أن

توراتهم تدحض نقائهم العرقي، حيث يقول سفر استير: "**وَكَثِيرُونَ مِنْ شُعُوبِ الأَرْضِ تَهَوَّدُوا لأَنَّ رُعْبَ الْيَهُودِ وَقَعَ عَلَيْهِمْ**"[18]، وقال نحميا: "**رَأَيْتُ الْيَهُودَ الَّذِينَ سَاكَنُوا نِسَاءً أَشْدُودِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَمُوآبِيَّاتٍ. وَنِصْفُ كَلاَمِ بَنِيهِمْ بِاللِّسَانِ الأَشْدُودِيِّ، وَلَمْ يَكُونُوا يُحْسِنُونَ التَّكَلُّمَ بِاللِّسَانِ الْيَهُودِيِّ، بَلْ بِلِسَانِ شَعْبٍ وَشَعْبٍ**"[19]، وهذا أمر طبيعي فالدين الإسلامي والمسيحي مثلاً ينطوي تحتهما شعوب وأقوام متباينة في انتماءاتها العرقية والثقافية، وليس من المستغرب أن يحصل ذلك في الدين اليهودي على الرغم من انغلاقه؛ إلا أن يكون الدافع وراء هذه الخرافات الرغبة في نبذ الآخر، وإقصائه، وهضم حقوقه، والتجني عليه، وقتله، بحجة أنهم (اليهود) أنقى عرقاً، وأشرف نسباً لادعاء اليهود الحاليين بانتسابهم إلى الأنبياء العظام كإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم أفضل الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: أسباب عقدة التفوق عند اليهود

بنيت عقدة التفوق عند اليهود على جملة من الأسباب التي ترتكز في جوهرها على عقائد مستمدة من نصوصهم ومصادرهم، وقد جاءت على النحو الآتي:

أولاً: عقيدة الاختيار والتفضيل الإلهي لليهود

تزخر أسفار التوراة بتعابير كثيرة تؤكد اعتقاد اليهود بأن الله اختارهم من بين جميع شعوب الأرض، ليكونوا شعبه الخاص الذي نال هذا الاختيار بعد أن أصبح شعباً مقدساً وأزلياً، والنصوص التوراتية الدالة على اختيار الإله لهم كثيرة منها:

- "... **أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ(...) وَتَكُونُونَ لِي قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي**"[20].
- " **لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ....**"[21].

ويؤكد تلمودهم هذه العقيدة فيذكر أن "خمسة من الأملاك كانت للرب المبارك، أخذها لنفسه في عالمه، وهذه الأملاك هي: القانون، والأرض وإسرائيل والمعبد..."[22]

لذلك أطلقوا على أنفسهم اسم (الشعب المختار) "ومصطلح (الشعب المختار) ترجمة للعبارة العبرية (هايم هنفخار)، ويوجد معنى الاختيار في عبارة أخرى مثل: (أنا بحرناتو) التي تعني (اخترتنا أنت)، و(عم سيحولا) أي (شعب الارث)[23] ويسمون أنفسهم أيضاً بـ (الشعب الأزلي) لاعتقادهم أن اختيارهم هو برنامج إلهي.[24]

ولا تقتصر عقيدة الاختيار على إشعار اليهود بتميزهم على بقية البشر، وعلو منزلتهم عند الله، بل إنها تفترض أن الرب قد سخر الشعوب الأخرى ليكونوا خدماً وعبيداً لشعبه المختار، وهنا يتضح أن **جوهر عقيدة الاختيار الإلهي** ترتكز على متضادتين؛ الأولى: رفع مكانة اليهود وعلو شأنهم واستحقاقهم للسيادة، والثانية: الحطّ من قدر الشعوب الأخرى وهبوط مكانتهم ليكونوا عبيداً، ولفظة (العبد) تعني أن يكون الشخص مملوكاً بالكامل إلى سيده، ومن هنا كان لليهود الحق في استملاك جميع الأمم واستحلال دمائهم، فبما أن دماءهم وأرواحهم ملك لليهود فمن باب أولى أن تكون أموالهم وجميع ممتلكاتهم ملك لهم أيضاً، أما هم فما عليهم إلا أن يأكلوا ثروات الأمم ويتآمرون على مجدهم.

وهذا الاعتقاد العنصري يؤكد اختيار الإله لهذا الشعب على أساس عرقي فقط، فالشعب المختار هو الشعب اليهودي الأصل، فلا يرتبط الاختيار باعتناق الدين اليهودي أو الخروج منه "فإن اليهودي الذي يولد يهودياً يظل كذلك حتى ولو أبدل دينه بدين آخر"[25].

وأيضاً لا يمكن لشخص غير يهودي أن يصبح مختاراً في حال اعتناقه الدين اليهودي، بل يبقى يعامل معاملة وضيعة داخل المجتمع اليهودي، ويفسر هذا اعتقادهم بحلول الإله في هذا الشعب فقط؛ لذلك أحكموا الإغلاق على ديانتهم وعلى أنفسهم ولم يسمحوا لأحد بالدخول إليها، وقد وصف الكثير من الباحثين هذه العقيدة المبتدعة من قبل حاخامات اليهود السذج بأنها نتيجة لحالة نفسية مرضية أفرزت أساطير وحكايات قام عليها بناء خرافي من العقائد العنصرية، يقول حسن ظاظا: "فهي إذن حالة مرضية (...) ترى في العزلة والانطواء ورفض الأخذ والعطاء مع المجتمعات القوية الأخرى، الوسيلة الوحيدة للحفاظ على الكيان، فتخترع لنفسها نسباً محدداً تدّعي أنه لم يختلط بغيره، معللة ذلك بأن قوة غير منظورة قد رشحتها لدورٍ قيادي دون البشر جميعاً، وأنها بفضل تلك القوة الخفية تبقى نقية الأعراق عبر الزمان والمكان، ومع الزمن تتراكم حول هذا الشعور أساطير وحكايات وجداول للأنساب ومناقب للآباء والأجداد تتخذ بريقاً سحرياً في عين السذج والجهال... فيقوم حول ذلك كله بناء خرافي من العقائد العنصرية الانعزالية

الخطيرة على الحضارة وعلى الإنسانية جمعاء"[26].

وبناءً على ذلك يعتقد اليهود بتفوقهم، وأن الله منحهم الصورة البشرية على سبيل الاستحقاق الذاتي لها والتكريم لهم؛ أما سائر الأمم من غير اليهود والذين يطلقون عليهم لقب (جوييم)؛ فقد خلقوا من طينة أخرى حيوانية ونفوسهم نجسة شيطانية، وأن الله منحهم الصورة البشرية لا على سبيل الاستحقاق الذاتي لها؛ ولكن ليأنس بذلك أسيادهم (اليهود) ويسهل عليهم تسخيرهم، إذ بغير هذا التشابه الصوري لا يسهل التفاهم بين السادة المختارين والعبيد المحقرين، لذلك فهم بحسب عقيدتهم أصلاء في الإنسانية، وأطهار بحكم عنصرهم المستمد من عنصر الله **نتيجة حلول الله فيهم**، وأما غير اليهود فهم حيوانات وأنجاس في أصل عنصرهم، بشر في صورتهم[27].

ولقد كان لهذا الاعتقاد الخاطئ الأثر البالغ في تكوين نفسية وعقلية اليهودي، وجنوحها نحو الغطرسة والعنف؛ ففي تلمودهم يزعمون أن إسرائيل سأل ربه: "لم خلقت سوى شعبك المختار؟ فأجابه لتركبوا ظهورهم وتمتصوا دماءهم، وتحرقوا أخضرهم وتلوثوا طاهرهم، وتهدموا عامرهم!"[28]، والمنطق لا يجيز مثل هذا الاختيار، بالإضافة إلى أن "مفهوم الاختيار يؤدي إلى الشعور العنصري لدى الجماعة المختارة وهذا المفهوم بدائي لا يصح أن يكون في دين ناضج ثم إنه يؤدي إلى تعصب شديد"[29].

وقد لا يكون هدف الاختيار هو إبقاء جموع الإسرائيليين تحت الخيمة اليهودية، بل سعياً وراء اكتساب ما يترتب على ذلك الإحساس من حقوق وامتيازات[30] فلأنه "**شعب يقوم كلبوة، ويرتفع كأسد، لا ينام حتى يأكل فريسته ويشرب دم قتلى**"[31].

وقد تدرجت التوراة في غرس التفوق وحب الانعزال والتعصب من أيام إبراهيم ﷺ، حيث تزعم أن إبراهيم ﷺ طلب من عبده أن لا يزوج إسحاق من بنات الكنعانيين فيقول: "... **فَأَسْتَحْلِفَكَ بِالرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ وَإِلهِ الأَرْضِ أَنْ لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لابْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ**"[32]، وكذلك فعل إسحاق بابنه يعقوب: "**فَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ، وَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ لاَ تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ**"[33]. وأيضاً يأمر الإله موسى بقوله" **فَإِنَّ مَلاَكِي يَسِيرُ أَمَامَكَ وَيَجِيءُ بِكَ إِلى الأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، فَأُبِيدُهُمْ (...) أُرْسِلُ هَيْبَتِي أَمَامَكَ، وَأُزْعِجُ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ (...) فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلى أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الأَرْضِ، فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ. لاَ تَقْطَعْ مَعَهُمْ وَلاَ مَعَ آلِهَتِهِمْ عَهْدًا. لاَ يَسْكُنُوا فِي أَرْضِكَ** "[34]؛ مجموعة منوعة من الوصايا التي يزعم كتبة التوراة أنها طلبت من موسى تدعو إلى إرهاب وإخافة وإفزاع الشعوب التي سيتواجه معها موسى، بل وطردهم وتحريم التعامل معهم وقوله أيضاً " **لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ... لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ**"[35] إذاً فهذه الوصايا العنصرية الصارمة ما كانت لتكون لهم لولا أن يهوه قد اختارهم على جميع شعوب الأرض، وهذه الأسس التي أمر بها شعب الله المختار؛ كلها تدور في حلقة التسخير والاستعباد، ثم القتل والإبادة والإفناء، لأن الشعوب الأخرى هي شوكة في حلوق اليهود إن بقيت فمدنهم وثرواتهم، وأطفالهم، ونسائهم حرام عليهم، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة في نصوص توراتهم المحرفة[36].

وفي التلمود نصوص تعتبر أن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان، هي بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب، بل إن اليهودي يتنجس إذا لمس القبور إلا قبور الأمم الأخرى فلا يتنجس، لأنهم بهائم وليسو أبناء آدم[37]، بل يعتبر التلمود الأمم الأخرى كالكلاب استناداً لما ورد في سفر الخروج[38] من أن الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب ولا للكلاب، ومع ذلك فهم يعتقدون أن الكلب أفضل لأنه مصرح لهم في أعيادهم أن يطعموا الكلب، وليس مصرحاً لهم أن يطعموا الأجانب[39].

وهذه الأقوال التي ينفثها حاخامات اليهود في نفوس أبناءهم وأجيالهم القادمة، تؤكد على أن اليهود قد خلقوا من طينة خاصة تمتاز وتسمو على جميع الأمم التي على الأرض، كانت دافعاً لخلق مجموعة من التشريعات الفاسدة، التي تنظم تعامل اليهود مع غيرهم من الأمم الأخرى، حيث يدعو التلمود إلى قتل الأمي إذا ضرب يهودياً؛ لأن روح اليهودي عزيزة عند الله، بل إنها جزء من الله كما أن الولد جزء من أبيه[40]. لذلك لا تجوز الشفقة والرحمة على الأمم الأخرى، وقال الحاخام (ابار بانيل): "ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم، وجائز لبني إسرائيل على حسب تعاليم التلمود أن يغشوا الكفار، لأنه يقول: يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين مدنساً مع المدنسين"[41].

ويجيز التلمود أحكاماً أخرى لليهودي، يقول الرابي (البو): سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم، لذلك يبيحون لليهودي غش الأمميين، وأخذ مالهم بوساطة الربا الفاحش، وسرقة أموالهم؛ لأنهم بذلك يسترجعون حقوقهم التي سلمها إلههم لهم[42]، بل "إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأمي ماله المفقود"[43].

- **وفي الزوهار**[44] يزعمون أن موسى أمر بتحرير أول مولود حمار مقابل قربان ذبح حمل، فيقول:"المراد بالحمار كل من هو غير يهودي، الذي افتدي بذبح حمل، وهو من خراف إسرائيل المشتتة، لكن إذا رفض (غير اليهودي) أن يفتدي به اكسر جمجمته

عندئذ... يجب إزالتهم من سجل الأحياء..."[45].

وفي البروتوكول الرابع عشر يقول: "ويظهر هذا التمييز بين الأغيار وبين أنفسنا في القدرة على التفكير والمناقشة المنطقية في الحقيقة القائلة بانتخابنا شعب الله المختار، لنمثل مخلوقات بشرية أرفع من الأغيار الذين يحملون عقولاً حيوانية وغريزية، فهم يلاحظون ولكنهم لا يتنبؤون بالأمور قبل وقوعها، كما أنهم لا يخترعون شيئاً ومن الواضح من هذا أن الطبيعة قد قدرت لنا أن نحكم العالم ونوجهه"[46].

ولا بُد أن نذكر هنا بأن هذه الأحكام الموجبة للقتل والسرقة والربا، والمشجعة على الفساد تجب –عندهم – في حق غير اليهود، ولكنها تعتبر جرماً عظيماً إذا وقعت في حق يهودي، وهذه التشريعات الحاخامية وغيرها كانت دافعاً لإحساس اليهود بتفوقهم على بقية الأجناس، يقول ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية السابق: "إن اليهود لم يكونوا أبداً مثل الشعوب الأخرى، كانوا دائماً شيئاً مميزاً، أكبر من مجرد شعب، وأكبر من مجرد دين، وأكبر من مجرد حضارة هم كل أولئك مجتمعين، ولا توجد هناك جماعة كما لهم فتاريخهم شيء مميز خاص"[47].

ثانياً: عقيدة أبناء الله وأحباؤه

تظهر بعض نصوص التوراة المحرفة أن أحد أسباب تفوق اليهود وغطرستهم، اعتقادهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه؛ لذلك استحقوا أن يكونوا فوق جميع الشعوب والأمم التي على وجه الأرض، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

– "**لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ**"[48].

– "**أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ.... لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ**"[49].

تصور النصوص السابقة أن اختيار الرب لليهود وإخراجه لهم من العبودية ما كان ليكون لولا أنه أحبهم، وأن حبه الشديد لهم لم يكن لأحد من الشعوب الأخرى. وفي التلمود يقول الرب القدوس لحوسيا: "لقد وقع أبناؤك في الخطيئة"، وكان على (حوسيا) أن يرد على ذلك، فقال: "إنهم أبناؤك، إنهم أبناء فضيلتك، وهم أبناء إبراهيم ويعقوب اشملهم برحمتك يا رب"[50].

ويقول الرابي عقيبا: "بنو إسرائيل أحباء الله لأنهم يدعون أبناءه، بل هناك برهان أعظم على هذا الحب، وهو أن الله نفسه قد سماهم بهذا الاسم في قوله في التوراة أنتم أولاد للرب إلهكم"[51].

واليهود لا يقصدون فقط المحبة والبنوة المعنوية كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، ولكنهم يقصدون أن أرواحهم جزء من ذات الله تعالى؛ لأنهم الممثلون لنسل آدم وحواء في نقائه، وبما أن آدم مخلوق على صورة الله وشبهه تماماً[52]– على حد زعمهم – وروحه جزء من روح الله وذاته، فإن اليهود هم أبناء الله الحقيقيون حساً ومعنىً، لذلك قال التلمود: "إن أرواح اليهود هي جزء من الله كما أن الابن جزء من والده، وهي عزيزة عند الله أما باقي الأمم فأرواحهم شيطانية"[53]، وتأكيداً على هذا التمايز والاختلاف يذكر التلمود أن آدم اتخذ خليلة من الشياطين واسمها (ليليت) فولدت له أبناء وبنات، وأن حواء اتخذت لها مجموعة من الشياطين وولدت منهم أبناء وبنات ولكنها أنجبت من آدم أبناء وبنات أيضاً [54]، ولذا فإن أبناء آدم وحواء أبناء الله، أما أبناء الزنا من الشياطين فهم أبناء الناس، وتزعم التوراة أن أبناء الله (آدم وحواء) قد تزوجوا من بنات الناس فأنجبوا الجبابرة فغضب الله – على حد زعمهم – وأهلك الأرض بالطوفان إلا نوحاً لأنه وجد نعمة في عين الرب، وكان نوح من نسل آدم وحواء ولم يتلوث نسبه، وتسير خرافات التوراة بعد ذلك لتطرد كنعان بن حام بن نوح وتجعل سلسلة نسب الإله في سام جد اليهود، لذلك يُعَدُّ اليهود أبناء الله وأحباؤه حقيقة وليس مجازاً.[55] وقد ترتب على هذا الاعتقاد الخرافي (أبناء الله وأحباؤه) ما يأتي:

- وجوب انعزالهم عن بقية الأمم والشعوب الأخرى.
- وجوب قتلهم للأمم الأخرى، واستحلال أموالهم بالسرقة والغش والربا [56]؛ لأن إلههم الذي يرى ذهب العالم وفضته ومواشيه وأرضه ورقابه ملكاً له، قد وهبها لابنه البكر وشعبه المختار، وأمرهم باسترجاعه واصطياده ولو اختلفت الوسائل وتعددت الشباك[57]، لذلك يمهد للأبناء طريق السيادة، باستئصال الأمم من أمامهم "**وَالزَّنَابِيرُ أَيْضًا يُرْسِلُهَا الرَّبُّ إِلهُكَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَفْنَى الْبَاقُونَ وَالْمُخْتَفُونَ مِنْ أَمَامِكَ.... وَلكِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْرُدُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكَ قَلِيلاً قَلِيلاً... وَيَدْفَعُهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ وَيُوقِعُ بِهِمِ اضْطِرَابًا عَظِيمًا حَتَّى يَفْنَوْا. وَيَدْفَعُ مُلُوكَهُمْ إِلى يَدِكَ، فَتَمْحُو اسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ**"[58]

- اعتقادهم أن الله –على حد زعمهم– لا يعاقب أبناءه وأحباءه على الجرائم التي يرتكبونها في معاملة أعدائه من الأمم مهما كان شأنها، وقد يختلق لهم أعذاراً على أفعالهم الشائنة، أو يسجلها لهم في صحائف قرباتهم وحسناتهم ويثبهم عليها، ولا يرضى منهم إلا بها، ولا يعفيهم منها إلا إذا كانوا مكرهين أو مضطرين [59] تقول التوراة "**فحوّل لأجلك الرب إلهك اللعنة إلى بركة لأن الرب إلهك قد أحبك**"[60]،ويلاحظ هنا مدى الخطورة والإرهاب في سلوك من يحمل هذه الاعتقادات.

وقد رد القرآن الكريم رداً لاذعاً مستنكراً فيه هذه الاعتقادات المتطرفة بالحجة الوافية الدامغة، قال تعالى: ﴿**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباءه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير**﴾ [سورة المائدة: 18]، قال القرطبي: وهم هنا على وجهين؛ "إما أن يقولوا: هو يعذبهم، فيقال لهم: فلستم إذاً أبناءه وأحباءه، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم تقرون بعذابه؛ فذلك دليل على كذبكم(...) أو يقولوا: لا يعُذبنا فيكذبوا ما في كتبهم، وما جاءت به رسلهم، ثم قال: "بل أنتم بشر ممن خلق" أي: كسائر خلقه يحاسبكم على الطاعة والمعصية ويجازي كلاً بما عمل"[61]، بل إنهم اعترفوا بأنهم سيعذبون ولكن عذابهم سيكون أياماً معدودة لأنهم أبناء الله المختارين قال تعالى: ﴿**وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة**﴾ [البقرة:80].

ثالثاً: الميثاق (العهد)

تتوالى العهود التي يقطعها **يهوه** على نفسه في أسفار التوراة بصيغ وبنودٍ مختلفة، ويعتقد اليهود أن تفوقهم وتميزهم، كان بسبب تلك العهود المتكررة لآبائهم الأوائل –على حد زعمهم– حيث تبدأ "بالعهد الذي قطعه الإله على نفسه لإبراهيم بأن يصطفيه دون العالمين، وأن يورث نسله أرض كنعان (فلسطين)، وقد تم تأكيد العهد لإسحاق ويعقوب، ثم جدد هذا العهد مع الشعب ككل أي مع **جماعة إسرائيل** في سيناء وذلك بعد الخروج من مصر"[62]، وقد وردت هذه العهود بصورة متفرقة من نصوص التوراة على النحو الآتي:

ففي سفر التكوين ثلاثة وعود ومواثيق بين الرب وإبراهيم:

أولها: " **ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إلى الأَبَدِ** "[63].

وثانيها: " **وفي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إلى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ** "[64].

وثالثها: "**وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ. وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيم وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ... فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ**"[65].

تظهر النصوص السابقة أن الرب قد قطع لإبراهيم ولنسله من بعده عهداً يقضي بتسليمهم أرض كنعان ملكاً أبدياً لهم، ثم يتوسع العهد بعد ذلك ليشمل الأرض من مصر إلى نهر الفرات، ثم في الوعد الثالث تظهر بنود أخرى جديدة، فالرب يعطي الأرض لنسل إبراهيم ليكون إلههم الخاص ويطلب علامة لتوثيق هذا العهد وهي الاختتان، ومن خلال هذه النصوص يمكن أن نستوضح مكامن الظلم والإجحاف الذي لحق بالبشرية منذ بداية تاريخها، فإذا كان الله قد أعطى إبراهيم كل هذه الأرض، فماذا سيكون مصير ساكنيها، وهل يجوز اقتلاعهم من أرضهم وتمليكها إلى جماعة معينة من الناس؟ [66]، كما يعلق ابن حزم على هذا الوعود قائلاً: "ذكر أن الله تعالى قال لإبراهيم لنسلك أعطي هذا البلد من نهر مصر.... إلى نهر الفرات كذب وشهرة من الشهر؛ لأنه إن كان عنى بني إسرائيل وهكذا يزعمون، فما ملكوا قط من نهر مصر ولا على نحو عشرة أيام منه... ولا ملكوا قط من الفرات ولا على عشرة أيام منه... وحاشا لله عز وجل أن يخلف وعده... وإن قال قائل إنما عنى الله بهذا إسماعيل عليه السلام قلنا وهذا خطأ؛ لأن هذا القدر... أقل من جزء من مائة جزء مما ملك الله عز وجل بني إسماعيل ﷺ... فوضح الكذب الفاحش في الأخبار المذكورة وصح أنه ليس من عند الله عز وجل، ولا من كلام نبي أصلاً، بل تبديل وغدٍ جاهل كالحمار بلادة، أو متلاعب بالدين وفاسد المعتقد..."[67].

ثم لماذا يدعي اليهود أنهم متفوقون بهذا الميثاق والورثة الوحيدون لهذه الأرض؟ والنصوص السابقة تصرح بأن الوعود المقطوعة كانت لنسل إبراهيم، ونسل إبراهيم يشمل بالضرورة جميع المنحدرين من نسله، فكما أن إبراهيم ﷺ أب لإسحاق ﷺ، فهو أب

لإسماعيل عليه السلام الذي هو ابنه البكر، حيث يكبر اسحاق بأربع عشرة سنة[68].

وطبقاً لأسفار اليهود، فإن تجدد الوعد من قبل الرب لإبراهيم حصل بعد ولادة إسماعيل عليه السلام، وقبل ولادة إسحاق، حتى إن إسماعيل قد اختتن عندما جعل الاختتان علامة للوعد[69][70].

إذاً فلماذا يخرج إسماعيل من هذا العهد الذي منح اليهود حق التفوق واقتصر إبرامه على الابن الذي لم يولد بعد؟ "**وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ. فَقَالَ اللهُ بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا... وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ**"[71]، وفي هذا النص تأكيد على تحول العهد(الميثاق) إلى إسحاق ونسله من بعده، وخروج إسماعيل منه، ولم يذكر النص أسباب ذلك، إلا أنه يحاول من خلاله إثبات أن الله – على حد زعمهم – قد اختارهم أولاً عندما طلب أن يقيم نسله مع إسحاق، لأنه من سلالة نقية طاهرة فهو ابن إبراهيم وسارة وكلاهما من أصل طاهر، بينما إسماعيل هو ابن هاجر المصرية، وهي في نظر التلمود ليست من أصل طاهر –على حد زعمهم – وفي سفر التكوين أن سارة عندما رأت إسماعيل الذي تنعته التوراة "**ابن هاجر المصرية**" بأنه يمزح مع ابنها قالت لإبراهيم "**اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني إسحاق**"[72].

ويستمر تكرار هذا العهد مع إسحاق[73]؛ إلا أنه ولأسباب مجهولة أيضاً يتجاوز الابن البكر لإسحاق وهو عيسو، وينتقل مباشرة من إسحاق إلى يعقوب (الابن الثاني) حيث يظهر له الرب ويقول له: "**وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ**"[74]، ويتجدد العهد مع موسى ولكن بمضامين وبنود جديدة منها "**يَطْرُدُ الرَّبُّ جَمِيعَ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ مِنْ أَمَامِكُمْ...كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ... لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكُمْ..**"[75] **ويقول ايضا: "... أنا الرب وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة، وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً... وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثاً**"[76]، عهد عجيب يظهر حواراً بين الإله والشعب، فالإله يساوم شعبه بإخراجهم من أرض العبودية وتسليمهم الأرض المقدسة، ولكنه يشترط أن يكون إلهاً خاصاً لهم، وأن يكونوا شعبه الخاص "وبذا، حول العهد جماعة إسرائيل ككل إلى شعب مختار من الكهنة، وأصبحت ممثلة للإله بين الشعوب، وأصبحت وظيفتها إنقاذ الجنس البشري من الخطايا التي يرتكبها الناس..."[77] "

ومما يجدر ذكره أن اليهود قد حللوا أنفسهم من أي التزام تجاه هذا الميثاق على الرغم من أن نصوصاً كثيرة في توراتهم تؤكد حرمانهم منه إذا خالفوا أوامر الله ووصاياه كما نقلها موسى عليه السلام إليهم، بل إن أغلب الوعود جاءت مقيدة ومشروطة بالتزام أوامر الله ونواهيه، ومثالها "**فاحفظوا جميع الوصايا التي أنا آمركم بها اليوم لكي تتشددوا وتدخلوا وتملكوا الأرض... التي أقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم... احذروا أن تغوى قلوبكم فتضلوا وتعبدوا آلهة غريبة وتسجدوا لها فيشتد غضب الرب عليكم... فتبيدون بسرعة عن الأرض الصالحة التي يعطيكم الرب**"[78] ومن المعلوم تاريخياً وكما ورد في أسفارهم المقدسة من أن اليهود لم يلتزموا بشريعة الله، ولم يحفظوا وصاياه، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة[79]، بل إن بعض النصوص التوراتية لتدلل أن اليهود ما ذهبوا إلى هذه الأرض إلا فاتحين وداعين إلى عبادة الله وحده، وما جاء في بعض النصوص من تحذيرهم الاختلاط بالأمم الأخرى، ما كان إلا تحذيراً من اتباع الآلهة الأخرى، وترك عبادة الله الواحد الأحد، وليس تحريم التعامل معهم.

إذاً فقد حول كتبة التوراة هذا الوعد (العهد) ليصبح وعداً أبدياً خالياً من أي شروط، بل أصبح دافعاً أساسياً لشعورهم بالتفوق والسيادة المفضية إلى العنف مع الآخر، حيث إن الشعب قد يخطئ وقد يزل وقد يعصي ويفسد ويقتل، وقد يعاقبه الإله إلا أنه سيظل شعباً متفوقاً مستحقاً لهذا العهد مهما فعل[80]، بل نجدهم قد حصلوا على فرامان من (يهوه) يحذرهم فيه من الاعتقاد بأن اختيارهم ناجم عن مزايا خلقية فيهم بل يؤكد أنه اختارهم وهو يعلم أن لا أخلاق لهم "**اسمع يا إسرائيل، أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك... ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم... ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها، لأنك شعب صلب الرقبة**"[81]، فهو ميثاق وعهد من طرف واحد، وهذا ما يعتقده أغلبية اليهود من أن الاختيار ملزم للإله وحده وليس ملزماً للشعب، وهذا بخلاف المفهوم الإسلامي للاختيار حيث جعل الاختيار مشروطاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى:﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**﴾ [آل عمران:110]، كما أنه ليس اختياراً عنصرياً أو عرقياً، بل هو اختيار أخلاقي غير مقصور على شعب بعينه، قال تعالى:﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات:13][82]، فالأرض لله تعالى يورثها من يشاء من عباده وقد بيّن الله ذلك لسيدنا موسى، قال تعالى: ﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأرض لِلَّهِ يُورِثُهامَنْ يَشاءُمِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف:128]، ويجب على المؤمنين أن يتسلحوا بسلاح الاستعانة بالله

عز وجل وبالصبر حتى يجعل العاقبة لهم، وهذه سنة الله في الأرض فالأرض لله ولا يورثها إلا لعباده الصالحين قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرض يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: 105][83].

المطلب الثالث: مظاهر أسطورة التفوق العرقي عند اليهود

لأسطورة تفوق العنصر اليهودي عدة مظاهر، جلبت الخطر، والرعب، والدمار إلى البشرية بأسرها، وقد جاءت على النحو الآتي:

المظهر الأول: احتقار الأمم الأخرى (من غير اليهود):

لم يقتصر احتقار اليهود وازدرائهم للأمم الأخرى على الفعل وحسب، بل سبقه الاحتقار باللفظ، حيث يطلق اليهود على غيرهم من الشعوب اسم (الأغيار) "وهي المقابل العربي للكلمة العبرية (جوييم)، وهذه هي صيغة الجمع للكلمة العبرية (جوي)، التي تعني **شعب** أو **قوم** (...) وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود، ولكنها بعد ذلك استخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها، (...) وقد اكتسبت الكلمة إيحاءات بالذم، والقدح وأصبح معناها **الغريب**، أو **الآخر**"[84]، واقترنت كلمة جوي في عقولهم بالزراية والاحتقار، فإذا قال اليهودي عن شخص أو شيء أنه (جوي)، فهو يعني بذلك أنه همجي بربري، أو العدو العالمي المكروه، أو السعادين الحليقة المحتقرة والحبيبات البشرية، أو الشيء الذي يجمع القذارة والنجاسة والحقارة[85]، **وبناءً على ذلك يقسم اليهود العالم إلى قسمين: الأول:** اليهود، وهم الشعب المختار، **والقسم الثاني:** غير اليهود وهم الشعب غير المختار، وتؤكد الكاتبة الأمريكية (جريس هالسل)، أن هذا التقسيم كان متبعاً حتى عند بعض المسيحيين الذين وقعوا تحت التأثير اليهودي، فمن يختار منهم مفهوم الشعب المختار، يختار في الوقت نفسه مفهوم الشعب غير المختار[86]، وقد كان لهذا التقسيم ايحاءات مجحفة إرهابية، حيث إن وضع اليهود لتصنيف المختار، وغير المختار في نظامهم الإيماني يدعو إلى ضرورة وجود الشعب الذي اختاره الله في داخل الأرض التي اختارها الله لهم – على حد زعمهم – وهي فلسطين، وضرورة وجود المواطنين من المسلمين والمسيحيين وهم الشعب غير المختار الذين عاشوا قروناً في فلسطين في خارج الأرض المقدسة (فلسطين)، وهذا بطبيعة الحال لن يتحقق بالسلام والوئام وإنما بالتطرف والإرهاب؛ لأن القضية في أصلها وجوهرها جريمة اغتصاب حق شرعي من أصحابه الأصليين (الفلسطينيين)، ومنحه لشرذمة من اللصوص.

وهناك صنف من اليهود يقسمون الجنس البشري إلى ثلاث أصناف سلالية كبيرة: صنف المؤتمنين على الشريعة، وهم اليهود، وصنف الذين رفضوا سوء قلبهم بإمكانهم أن يخضعوا لها، وصنف الذين هم مُدنسون بشدة ورجسون ولا يعرفون إلا الخطيئة وهم (الكنعانيون) [87]، وتعود هذه الأوصاف إلى أبناء نوح الثلاثة: **سام، وحام، ويافث** حيث تزعم التوراة أن نوح سكر وتعرى فلم يغطه حام وغطاه سام ويافث[88]، فأصبح حام وحفيده كنعان ملعوناً، وعبداً لإخوانه أبد الآبدين، ولذلك يرى الكثير من اليهود أنه لا ينبغي أن يكون للكنعانيين المنحدرين من نسل حام إلا وظيفة الاستعباد، وإذا تمردوا عليها، أو طمحوا إلى الحرية وجب على اليهود أن يردوهم بحدّ السيف؛ لأن هذا الوضع الذي فرض عليهم كان تشريعاً صريحاً ينسبونه إلى نوح عليه أفضل الصلاة والسلام[89].

وبناءً على ذلك يقول **الزوهار** في أولاد نوح، الأول: فاضل أو مليء بالفضيلة **سام**، والثاني: مليء بالرذائل **حام**، والثالث: بين الاثنين[90]، وكما ذكر سابقاً، فاليهود هم ذرية الفاضل **سام**، والكنعانيين ذرية الرذيل **حام**، وبما أن الفضيلة يجب أن تدحر الرذيلة، فيجب على اليهود أن يبيدوا الكنعانيين، وهكذا يأمرهم الله – على حد زعمهم – ولتبرير إبادة ذرية حام الكنعانية توجهت التوراة إلى توظيف الانتقال الوارثي لبعض التصرفات فبما أن طبيعة الكنعانيين كانت عاطلة، وأن خبثهم كان غريزياً، فالطبيعة الشائنة انتقلت من حام من جيل إلى جيل، فالانتقال الوراثي لبعض الاستعدادات يصيب كل الشعوب، وقداسة إسرائيل هي استمرار لفضيلة سام، ويبدو هنا أن الشعوب تمتلك طبيعة ثابتة تتحكم بالعلاقات بين الأمم وتوجّه أفعالهم ومصيرهم، وبما أن اليهود قد ثبتت طبيعتهم، ورسخت بالبرهان السلالي، فهي وحدها من تستطيع أن تقوم بالإبادة الكاملة للشعوب الكنعانية على طريقة استئصال الشر وبكل ضمير مرتاح[91]، وهذا ما تؤكده التوراة في أكثر من سفر فتقول:

"**أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي**"[92].

" **وَتَأْكُلُ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ الرَّبُّ إِلهُكَ يَدْفَعُ إِلَيْكَ. لاَ تُشْفِقْ عَيْنَاكَ عَلَيْهِمْ**"[93]

"**فَإِنَّ مَلاَكِي يَسِيرُ أَمَامَكَ وَيَجِيءُ بِكَ إِلى الأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، فَأُبِيدُهُمْ**"[94]، وكل هذه الدعوات والتقسيمات المتطرفة ما هي إلا تبريرات واضحة لإرهاب اليهود وعنفهم وقسوتهم إزاء الشعوب الأخرى.

أما النظرة **القبالية**[95] المتطرفة لغير اليهود، فترى أن اليهود قد حلت فيهم القداسة الإلهية فأرواحهم من الله، أما الأغيار فإن

أرواحهم من المحارات الشيطانية، وبهذا أصبح التقسيم القبالي ينظر إلى العالم على أنه مقسم إلى يهود يقفون داخل دائرة القداسة، وأغيار يقفون خارجها، وبذلك يصبح كل البشر أشراراً مدنسين يستحيل الدخول معهم في علاقة، ويصبح من الضروري إقامة أسوار عالية تفصل بين من هم داخل دائرة القداسة، ومن هم خارجها[96]، كما يقول سفر اشعيا: "**يَقِفُ الأَجَانِبُ وَيَرْعَوْنَ غَنَمَكُمْ، وَيَكُونُ بَنُو الْغَرِيبِ حَرَّاثِيكُمْ وَكَرَّامِيكُمْ. أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ، تُسَمَّوْنَ خُدَّامَ إِلهِنَا. تَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ، وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ**"[97]، وهذا ما يبرر انغلاق اليهود على أنفسهم، وتسورهم داخل جدار الغيتو؛ كما يقسم الزوهار العالم إلى قسمين فيقول: "ثمة يمين وثمة يسار، اليمين هو إسرائيل، واليسار هو باقي الوثنية، واليمين جنة واليسار جحيم"[98]، والتقسيم بين اليمين واليسار، قائم منذ القدم في اليهودية، فبالنسبة لليهودية القبالية، ينتمي كل ما هو جيد في عالمنا إلى الجانب الأيمن المقدس، وهذا هو حال اليهود، وفي الاتجاه الآخر في جانب اليسار تحتشد قوى الشر، والأغيار[99].

وهذا التقسيم المتطرف يتطلب بطبيعة الحال سمو اليمين وتفوقه وأحقيته في سيادة اليسار، ولا بد لليسار من الخضوع **والتذلل،** وأحياناً لا بد أن يذبح ويقتل؛ ليهيئ هيمنة اليمين على كل العالم. وهذه التقسيمات وغيرها الكثير أضفت على اليهود الغرور والتعالي، فأصبحوا ينظرون إلى الشعوب الأخرى بأنها شعوب وضيعة في سلم الإنسانية، باعتبار أنهم حيوانات في أصلهم التكويني، وهذا ما يكرره التلمود بقوله: كما يسمو الإنسان على الحيوان كذلك يسمو اليهودي على باقي أهل الأرض ذوي الطبيعة البهيمية [100]، حتى أن داروين[101] صاحب نظرية (النشوء والارتقاء) الذي حاول أن يثبت فيها بأن الإنسان من سلالة القرد، وقد تدرج حتى وصل إلى شكله الحالي، لم يكن ليضع هذه النظرية لولا تأثره بالعقائد اليهودية العنصرية في نظرتها إلى الآخر.

وتؤكد **(بروتوكولات حكماء صهيون)**[102] هذه النظرة الاحتقارية والاستعلائية لغير اليهود يقول البروتوكول الحادي عشر: "إن الأمميين كقطيع من الغنم، وإننا الذئاب؟ فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحضيرة؟ إنها لتغمض عيونها عن كل شيء، وإلى هذا المصير سيدفعون"[103]، وفي موضع آخر يذكر البروتوكول الخامس عشر أن "عقل الأممي (...) ذا طبيعة بهيمية محضة، غير قادر على تحليل أي شيء وملاحظته (...) وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأمميين، هو الذي يمكن أن يرينا وبسهولة اختيارنا من عند الله وأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية.."[104]، لذلك يردد اليهود في أحد الأجزاء الأولى من صلوات الصباح اليومية شكرهم وحمدهم لله لأنه لم يخلقهم من الأغيار، فيقولون: " فلنشكر إله الجميع، لأنه لم يخلقنا مثل كل أمم الأرض"[105]. وفي نظرتهم للآخر يعتقد اليهود أن الله يجدد روحهم كل يوم سبت؛ لذلك يتجدد النشاط الفكري والمادي كل أسبوع، وهو ما يجعلهم متفوقين على غيرهم لأنهم يتمتعون بهذه الصفة؛ أما الشعوب الأخرى فتلد من مخزون الرب العمومي غير المتجدد؛ لأن أرواحهم كما هي أجسادهم تتدفن فور مماتهم، أما روح اليهودي فتخرج بأحفاده؛ لأن أرواح اليهود كما يزعمون لا تسعها قبور؛ لذلك يُحافظ اليهود على نقائهم الدموي، وخاصة انغلاق انبعاث الروح بينهم، لتبقى جماعة الرب – كما يزعمون – هي هي لا يداخلها أممي ولا تشوبها شائبة[106].

وقد أدت هذه النظرة المتطرفة في تعاليها، وغرورها، واحتقارها للآخر، إلى استصدار جملة من القرارات، والتشريعات، والقوانين العنصرية في حق الشعوب الأخرى، نذكر منها:

- تحريم الزواج من أبناء الأمم الأخرى وقد كان في البداية مقصوراً على الكنعانيين كما هو وارد في سفر التثنية "**لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بِنْتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتَهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ**"[107]،وقد ورد هذا المنع في أسفار سابقة تنسب فيها التوراة وصايا لأنبياء الله كإبراهيم وإسحاق – عليهم السلام – بعدم زواج أبنائهم من الأمم الأخرى[108]، التي يوضح مضمونها أن عهد الله المزعوم لهم بأخذهم الأرض واستمرار البركة فيهم، وتكثير نسلهم، مربوط بالحفاظ على نقاء عرقهم بتحريم الزواج من الأمم الأخرى.

كما يعتبر التلمود أن الزواج من الأمم الأخرى لا يصح عقلاً؛ إذ كيف يكون تزاوج مع الحيوانات، ويقول أيضاً: "لا يوجد زواج للكفرة"[109]، ويقول دي بولي في (المادة 396): "إن الزواج المعقود بين يهودي وكافرة أو العكس باطل، والحياة الزوجية القائمة بينهما تُعَدُّ فجوراً وزنا، والأولاد الذين يولدون يُعَدُّونَ أبناء زنا"[110]، ولا يظن القارئ أن سبب هذا التحريم هو اختلاف في الدين أو المذهب؛ ولكن السبب الرئيسي هو النظرة الاحتقارية العنصرية إلى الآخر من غير اليهود، والدليل على ذلك ما جاء في المادة 19 من كتاب شمعون في الأحكام الشرعية، حيث يقول: "إذا ارتد الإسرائيلي ثم تزوج شرعاً بإسرائيلية صح العقد، كذلك إذا ارتدت الإسرائيلية ثم تزوجت بإسرائيلي"[111]، ومعنى ذلك أن الزواج ليس فرعاً من الإيمان كما هو الحال في الإسلام بل هو فرع من العصبية العنصرية[112]، وإمعاناً في نظرتها العنصرية فإن اليهودية تحصر الهوية اليهودية في المولود من أم يهودية فقط، إذا حصل زواج مع غير اليهود؛ لأن اليهودية ترتكز أصالة وبإطلاق على النسب من الأم، ومن ثم كانت اليهودية طيلة العصور الماضية ديناً

محصوراً في جنس بعينه، يقول التلمود: "ابنك الذي من امرأة إسرائيلية يدعى ابنك، أما ابنك المولود من امرأة وثنية، فلا يدعى ابنك"[113].

وقد ظل الحظر يمتد ويتسع حتى أصبح يتضمن مجرد تناول الطعام (حتى لو كان شرعياً) مع الأغيار، بل أصبح ينطبق أيضاً على طعام قام (جوي) بطهوه، حتى وإن طبق قوانين الطعام اليهودية.[114]

- عدم قبول شهادة غير اليهود، ومنعهم من الإدلاء بشهاداتهم في المحاكم الشرعية؛ لأنهم في نظر اليهود كاذبون بطبيعتهم، ويمنع اليهود من عرض ادعاءاتهم في محاكم الأمميين؛ لأن أحكامها غير سارية حتى لو تطابقت مع الشريعة، وفي حالة رفع أممي أي دعوى على يهودي أمام قاض يهودي، فإن التلمود يصرح للقاضي اليهودي أن يمنع إدانة اليهودي، حتى لو لجأ إلى استخدام الوسائل الاحتيالية[115].

- تضييق النطاق الدلالي لبعض الكلمات الواردة في التوراة مثل "أخيك" و"رجل" التي تشير إلى البشر ككل بحيث أصبحت تشير إلى اليهود وحسب، وتستبعد الآخرين فإن كان هناك نهي عن سرقة "أخيك" فإن معنى ذلك يكون في الواقع "أخيك اليهودي"[116] لذلك حرف أحبار اليهود وصايا موسى ﷺ الواردة في أسفار التوراة كقوله: "**لاَ تَقْتُلْ، لاَ تَزْنِ، لاَ تَسْرِقْ، لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ، لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ، لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ**"[117]، فقد فسر أحبار اليهود ذلك بقولهم أن مقصد موسى ﷺ من كلمة (قريبك) أي اليهودي؛ أما ما عدا ذلك من البشر فيجوز في حقهم كل هذه الأفعال، وقد تطور هذا الازدراء والاحتقار إلى صورة من الهمجية والوحشية تتجلى فيها كل معالم الإرهاب وصوره، وهي الدعوة الصريحة إلى قتل الأغيار، واعتبار التلمود ذلك الفعل بأنه تقديم قربان للإله، ليشجع اليهود على ارتكابهم لهذه الجريمة دون أي خوف، أو تردد، بل يضيف إليهم لذة، ومتعة حقيقية يحسون فيها بأنهم على اتصال وثيق بإلههم، ويقول أحد المعلقين على شرح (شولحان عاروخ)[118]: "على المرء ألا يرفع يده لإيذائه (الأغيار)، ولكنه يستطيع أن يؤذيه بطريقة غير مباشرة، كأن يزيل السلم مثلاً، بعدما يكون الشخص المعين قد سقط في هوة"[119]، أما قتل اليهودي بحسب الديانة اليهودية فإنها جريمة نكراء عقوبتها الإعدام وهي إحدى أفظع الخطايا الثلاث، أما القاتل من الأغيار الذي يصادف وجوده تحت السلطة القضائية اليهودية فينبغي أن ينفذ فيه حكم الإعدام سواء أكانت الضحية يهودية أم غير يهودية، أما إذا كانت الضحية من الأغيار وتحول القاتل عن ديانته واعتنق اليهودية، فإنه لا يعاقب[120].

- إصدار قانون العودة الصادر في 5 يوليو سنة 1950م، وهو يعطي لكل يهودي في العالم حق الهجرة إلى إسرائيل بلا قيد أو شرط[121]، وفي المقابل يمنع أهالي البلاد الأصليين من الرجوع إلى بلادهم بعدما طردوا منها؛ بحجة أن عقيدة اليهود تتطلب منهم عدم التعايش والتعامل مع غيرهم من الشعوب كما ذكرت سابقاً.

- إصدار قانون الجنسية الإسرائيلية: وقد أقره البرلمان الصهيوني في 14 إبريل سنة 1952م، وقد اعتبر جميع يهود فلسطين مواطنين دون قيد أو شرط، أما الفلسطينيون العرب من سكان البلاد، فعلى كل منهم أن يثبت بالوثائق الرسمية أنه كان فلسطينياً قبل سنة 1948م، وتمهيداً للنظر في منحه الجنسية الإسرائيلية مع اشتراط معرفته للعبرية، والتحقق من أنه لا يحمل جنسيات أخرى[122]، وهناك أحكام أخرى أكثر تطرفاً يذكرها التلمود الذي يعد تأشيرة خروج من حظيرة الإنسانية، لمن يؤمن به ويتبع محتوياته من اليهود، ومنها: منع تأسيس شراكة مع الأجنبي، ومنع تأجيره أي أرض أو منزل في فلسطين التزاماً بما يقوله الكتاب المقدس " عليك أن لا تأت بالفحش إلى بيتك"[123].

ونتيجة للنظرة اليهودية التي تدعو إلى ازدراء الآخر واحتقاره، نشأت ردة فعل سميت بـ (اللاسامية) ويذكر الفريد لينتال: "أن (اللاسامية) عبارة نشأت في الغرب لا في ديار العرب وقد كتب جوزيف حاكم القدس الإسرائيلية العسكري أثناء الحرب بين العرب وإسرائيل:"إنني لم أجد بين المسلمين الذين يشكلون الأغلبية العظمى للعرب في فلسطين، أي أثر للشعور ضد اليهود، يمكن مقارنته بـ (اللاسامية)"[124]، التي اعتبرها حسن ظاظا وغيره من الباحثين رد فعل طبيعي من شعوب العالم الذين تعتبرهم اليهودية (جوييم)، ضد عنصرية اليهود وغرورهم، ويصفها حسن ظاظا بقوله إنها: "مشكلة إنسانية ينطلق فيها الحقد من طرفين، كل منهما نحو الآخر: العنصرية اليهودية، واللاسامية"[125]. ويراها بعض الباحثين فكرة صهيونية، أراد من خلالها اليهود "إنشاء سياج بين يهود الخارج، وبين الآخرين"[126]؛ ولبثِّ مزيد من الحقد والكراهية والعنف ضد اليهود، كما حصل في الإبادة النازية؛ لتكون دافعاً لتهجير أكبر عدد ممكن من اليهود إلى فلسطين، ويبدو أن هذه الحركة (اللاسامية) هي فكرة يهودية أراد اليهود منها إبقاء العالم في حالة خوف دائم، بحيث تصبح اللاسامية سيفاً مسلطاً على كل الدول والأمم والشعوب؛ حتى يبقى اليهودي لا يمس من قريب أو بعيد؛ ولهذا نرى أن إنكار (الهولوكوست) أصبح جريمة في جميع الدول الغربية؛ لأنه يؤدي إلى معاداة السامية.

المظهر الثاني: العزلة اليهودية

إن موقف العداوة الذي وقفه اليهودي من جميع أمم العالم، نتيجة تشبعه بأفكار التوراة العنصرية، وقوانين التلمود التي كانت سيوفاً مسمومة يصعب الشفاء منها، لها دور في كراهية اليهود واستعلائهم وغرورهم اللامتناهي، فهم كما يزعمون شعب مختلف عن بقية الشعوب، لا يمكنه الاندماج فيها؛ لأنهم على قدر كبير من القداسة التي تؤدي بطبيعة الحال إلى مزيد من العزلة اللازمة والضرورية، يقول التلمود: "لماذا يشبّه بنو إسرائيل بحبة الزيتون؟ لأن الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى، وكذلك بنو إسرائيل لا يمكن اختلاطهم مع الشعوب الأخرى"[127]، ويرى حسن ظاظا أن سبب هذه العزلة يتمثل في كونهم "يخافون من الاندماج، ويرون فيه تهديداً بضياع كل تراثهم، وهي عقدة مرضية في شخصية الإسرائيلي، أساسها الشعور بالبقاء الهش المتهافت، الذي لا يستطيع الثبات أمام الحضارات الشامخة التي تبنيها الأمم الأخرى، وكان الإسرائيلي قد آثر أن يظل بدوياً جاهلاً متخلفاً يشمئز من التقدم، ويخاف من المدنية"[128].

وقد اتخذت العزلة اليهودية أشكالاً وتنظيمات مختلفة على مدار تاريخهم منها:

السنهدرين[129]: وهو أول شكل من أشكال التنظيم العنصري لليهود، ويعد المجلس الأعلى الذي يحكم الطائفة، ويملك وحده حق الحل والعقد في شؤونها وبعد أن ساءت علاقة اليهود مع الرومان الذين يحكمون المنطقة في ذلك الوقت، تقرر طرد السنهدرين والغاؤه من أورشليم[130].

القَهَل[131]: وهو التنظيم الذي حل عملياً محل السنهدرين بعد شتات اليهود، وقد وردت في التوراة **(**قهلية يعقوب**)** بمعنى "**جماعة يعقوب**"، وكانت الجالية اليهودية بعد الشتات تتكتل وتعيش في عزلة عن البشر الذين يحيطون بها، وكانت دائماً تكون لها تنظيماً اجتماعياً لا تعلم عنه الدولة شيئاً لتحمي نفسها من الاندماج والذوبان في **(**الجوييم**)**[132].

الجيتو: وهو صورة من صور العزلة اليهودية والاجتماعية، التي أراد اليهود أن يحافظوا على نقائهم العرقي وتميزهم الفكري خلف أسواره، ويؤكد ذلك ما قاله أحد الحكماء اليهود عن الحياة في الضيق فيقول: "فبالانعزال في الغيتو استطعنا الحفاظ على عبقريتنا المميزة ومهمتنا الإلهية"[133]، والجيتو يعني الحي الخاص الذي سكنه اليهود في أوروبا بعد شتاتهم وهو صورة من انحدار اليهودية وراء أسوار معمارية حقيقية فرضها القوم على أنفسهم، وأقرتهم على ذلك الأمم التي يعيشون بينها، وكان الجيتو تتويجاً لمسلك العزلة والعداوة بين إسرائيل والأمم الأخرى، حيث أعيدت فيه سبك الشخصية الإسرائيلية على أسس عنصرية استعلائية(134). وقد كانت الطريقة التي يعيش بها اليهود بين تلك الأمم كافية لإيجاد الكراهية المتبادلة بينهم وبين تلك الأمم، فقد أرادات جموعهم في الشتات أن تظل وحدات متحوصلة في جسم المجتمع الذي تعيش فيه، يرفضها وترفضه حتى أصبح اليهودي في النهاية شخصية مشبوهة كريهة في كل هذه المجتمعات[135]، وقد تفنن اليهود من خلال الجيتو في التلاعب بالمسيحيين من حيث إقراضهم المال بالربا الفاحش، وممارستهم ألواناً من الاحتيال وراء ستار السمسرة أو ألعاب القمار والمراهنات، وانتشرت كذلك **تهمة الدم** التي تنسب إلى اليهود ذبح المسيحيين، وخلط دمهم بخبز عيد الفصح[136]. إذاً فقد كان الجيتو في جوهره بؤرة ومنبعاً يصب اليهود من خلاله جام غضبهم وحقدهم وإرهابهم على الشعوب التي آوتهم واحتضنتهم، وإذا كان الجيتو الأوروبي قد ولىّ عهده وراح، فإن هناك جيتو جديد أحاطه اليهود بجدار عازل يحاول فيه أن يجمع جميع اليهود من شتاتهم إلى داخله؛ ألا وهو الوطن القومي المزعوم في فلسطين حيث يمارس اليهود من خلاله كافة ضروب التطرف والإرهاب، وينفثون منه سمومهم القاتلة لكل العالم بكافة أجناسه وطوائفه.

المطلب الرابع: عقدة التفوق وأثرها في الشخصية اليهودية

قد يكون الواقع أصدق تعبيراً وخاصة عند الحديث عن أثر عقدة التفوق في الشخصية اليهودية، فبعد سيطرة مجموعة من العقائد والأفكار المتطرفة التي تؤكد خضوع العالم بكل مقدراته وأمواله وناسه لأفضل الأجناس وأبناء الله، وشعبه المختار، أصبحت الشخصية اليهودية ترى كل ما حولها ملك لها؛ فالبشر عبيد لها وأموالهم وأراضيهم حق شرعي بسبب تفوقها؛ لأجل ذلك شهد العالم فوضى مالية عارمة قادها اليهود من أجل السيطرة على أملاك الأرض وأموالها، فتفوقهم أجاز لهم الغش، والمكر، والخديعة، وبذل الغالي والنفيس في سبيل تحقيق مآربهم ومطامعهم، ويحكي التاريخ الربا الفاحش الذي حرمه اليهود على أبناء جلدتهم، وأجازوه بلا قيد أو شرط مع الشعوب الأخرى حتى غدا علامة مميزة، وفارقة للشخصية اليهودية في كل مكانٍ تحل فيه، فأوروبا مثلاً تحكي عن جشع اليهود واحتكارهم للمال وسعيهم له بكل الرسائل؛ ففي المانيا مثلاً، عدد هتلر خيانات اليهود، فذكر منها: استنزاف أموال الشعب بالربا الفادح، وإفساد التعليم، والسيطرة لصالحهم على المصارف والبورصة والشركات التجارية؛ أما في روسيا التي حوت أكثر من نصف يهود العالم كانوا فيها خونة ومردة على القوانين، فالفقراء منهم فتحوا الحانات، وتاجروا في الخمر، والأغنياء عملوا

في الربا الفاحش، والتجار اصطنعوا الحيل لتكسد تجارة الأمميين[137]، "وقد بلغ من سيطرة اليهود على التجارة الأوروبية أن لفظ يهودي في الغرب الأوروبي أصبح مرادفاً للفظ تاجر "[138].

وهذا ما دعا حتى كتاب الروايات والقصص يجسدون هذا الواقع المؤلم في شخصيات قصصهم، ففي قصة "تاجر البندقية" يصور شكسبير الشخصية اليهودية الجشعة "شيلوك" التي تمارس الربا بطريقة فاحشة حتى طلبت في النهاية اقتطاع أوقية من لحم المدين عند تأخير سداد الدين مع رباه، وهي قصة توضح ردة فعل على واقع مؤلم تعيشه أوروبا في ظل التفوق اليهودي الذي خلق أزمات مالية واقتصادية انهارت على إثرها دول وحضارات، يقول البابا كليمنت الثامن: "تقاسي بلدان العالم كافة من عملية الربا، والاحتكار، والمخادعة التي يمارسها اليهود، فاليهود هم الذين سببوا حالة الفقر المدقع التي يعاني منها بعض التعساء السيئي الحظ، ولاسيما من العمال والفلاحين لذلك يتوجب علينا الآن أن نحذر اليهود من مغبة تعاليمهم اللا أخلاقية وتصرفاتهم غير الإنسانية التي يتذمر منها كل بلدٍ منحهم حقوق الضيافة منذ تشتتهم"[139].

ولا بد من الإشارة هنا إلى فضح القرآن الكريم واقع اليهود، ففي تعاملهم المالي يقول تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [النساء:160-161] وإذا أردنا تجاوز العديد من أحداث التاريخ اليهودي وصفحاته فإن واقع فلسطين تحت الاحتلال اليهودي قد يصف الأثر المرير الذي تعانية البشرية في ظل التفوق اليهودي المزعوم ويعد نموذجاً كافياً لوصف المعاناة بكاملها؛ فالتفوق المزعوم قضى باستلاب الأرض واغتصابها من أهلها الشرعيين، والقيام بالمجازر والمذابح في حق شعب أعزل كل هذا ليسهل استعبادهم لشعب ظن نفسه متفوقاً على سائر الأجناس، فنصوصهم تأمرهم قائلة: "**ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ**"[140]، فإذا دخلتم إلى الأرض التي أعطاكم الرب فعليكم بساكنيها "**تَسْتَمْلِكُونَهُمْ لأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إلى الدَّهْرِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ بَنُو إسرائيل فَلاَ يَتَسَلَّطْ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بِعُنْفٍ**"[141]، وهذا ما حدث فقد تعرضت فلسطين لكافة أنواع التعذيب والاحتلال جراء التفوق المزعوم، ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

1. الهجرة غير الشرعية والاستيطان القسري، حيث شهدت فلسطين هجرات يهودية غير شرعية إلى فلسطين بدأت قبل قيام المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897م، وكان أغلب المهاجرين اليهود الذين يتسللوا إلى فلسطين مؤمنين بإرثهم الشرعي فيها[142].
ومما يجدر ذكره أن جوهر العمليات الاستيطانية هي اغتصاب فلسطين من أهلها وإحلال العنصر المختار محله.
2. المذابح والمجازر، فقد انتهجت سياسة الاحتلال القتل والذبح كطريقة ممنهجة، لفرض السطوة اليهودية، وإحلال شعب مكان شعب، ومنها مذبحة دير ياسين **1948م، وقد راح ضحيتها 25 منهم و25 حبلى و52 طفل**، ومذبحة قرية سعسع **1948م**، ومجزرة الاقصى **1990م**، ومجزرة الحرم الابراهيمي **1994م**، ومجزرة جنين 2002م، ومجزرة غزة **2008م**، وقد يتسع المجال هنا لذكر مجازر اليهود في حق الشعب الأعزل لكثرتها[143].
3. الاغتيالات والتصفيات الجسدية، وقد كان الاغتيال أهم وسائل اليهود في القضاء على المعارضين والمزعجين، والأعداء، وسجل الاغتيال اليهودي حافل بهذه المشاهد[144].
4. الاعتداء على المسجد الاقصى وغيره من المقدسات.

وقد يطول بنا المقام عند الحديث عن جرائم الشخصية اليهودية في حق فلسطين باعتبارها نموذجاً للإرهاب والعنف اليهودي الممنهج التي تعد تطبيقاً حياً لأثر عقدة التفوق في الشخصية اليهودية.

الخاتمة

بعد استعراض موضوع عقدة التفوق في الفكر الديني اليهودي وأثرها في الشخصية اليهودية، يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

1. يعتقد اليهود بأنهم شعب عضوي له عبقرية خاصة وأن ثمة جوهراً يميزهم عن غيرهم من البشر، فاليهودي يبقى يهودياً مهما تغيرت الأزمان والأحوال.
2. للتفوق اليهودي أسباب ودوافع عقدية منها؛ اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار، وأبناء الله وأحباؤه، وأن هناك ميثاقاً وعهداً ابدياً لنسل اسحاق أضفى عليهم قداسة خاصة وحجبها عن الآخرين.
3. كان لعقيدة الاختيار الالهي أثر واضح في شعور اليهود بالتفوق؛ وذلك لارتكازها على متضادتين الأولى: رفع مكانة اليهود وعلو شأنهم واستحقاقهم للسيادة، والثانية: الحط من قدر الشعوب الأخرى وهبوط مكانتهم وتسخيرهم واستعبادهم.

4. لعقدة التفوق عند اليهود أثر بالغ في تشريعاتهم، وأهمها:
– تحريم الزواج من الأمم الأخرى وتحريم مؤاكلتهم حتى لو كان الطعام شرعياً.
– جواز قتل الأمم الأخرى وإرهابها وسرقتها واستلاب أموالها وممتلكاتها.

5. لعقدة التفوق عند اليهود مظاهر بارزة، وأهمها العزلة اليهودية وتقوم على وجوب عزلة اليهود عن بقية الشعوب خوفاً من تنجسهم؛ لأنهم على قدر كبير من القداسة، وقد اتخذت العزلة أشكالاً عديدة على مدار تاريخهم مثل الجيتو، والسنهدرين، والقهل.

6. كان لعقدة التفوق أثر بارز في تشكيل وصياغة الشخصية اليهودية وتحديد علاقتها بالآخر، حيث كانت الغطرسة والكبر والعنف عنواناً يسطّر فصول هذه العلاقة، وتعد فلسطين نموذجاً كاملاً لأثر عقدة التفوق في الشخصية اليهودية.

الهوامش

(1) بتصرف، المسيري، عبدالوهاب، الصهيونية والعنف، ط1، دار الشروق، القاهرة،2001م، ص26
(2) العِرْق: هو جملة السمات البيولوجية (مثل حجم الجمجمة، ولون الجلد، والعيون، والشعر..الخ) التي يفترض وجودها في جماعة بشرية وتميُّزها بشكل حتمي بيولوجي عن غيرها من الجماعات وقد ترد مرادفة لكلمة (سلاله، جنس، دم)، انظر: المسيري، الصهيونية والعنف، ص35
(3) انظر: ظاظا، حسن (1987)، أبحاث في الفكر الديني اليهودي، ط1، دمشق: دار القلم، ص 100 – 101
(4) لينتال، الفريد، إسرائيل ذلك الدولار الزائف، ط1، (تعريب عمر الديراوي)، دار العلم للملايين، بيروت، 1965م، ص 83-84
(5) المصدر نفسه، ص48، وظاظا، أبحاث في الفكر الديني اليهودي، ص101
(6) ظاظا، حسن، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، 1990م، ص 9
(7) بتصرف، رزوق، اسعد، التلمود والصهيونية، ط2، الناشر للطباعة والتوزيع والإعلان،1991م، ص51
(8) سفر التثنية 14: 2
(9) سفر التثنية 26: 18-19
(10) أبو الروس، ايليا، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، ط1، منشورات دار الاتحاد، بيروت، 1964، ص133
(11) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م5، ص 446
(12) الآريون: أطلقت هذه التسمية في الأزمنة القديمة على مجموعة من الشعوب قطنت شرق البحر الأبيض المتوسط تنتسب إلى عائلة الشعوب الألبيّة التي غزت شمالي الهند. وهم أجداد الشعوب الهندو – أوروبية في الهند وإيران. انظر :عبودي، هنري س، معجم الحضارات السامية، ط2، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1991م ص21-22
(13) بتصرف، أمين، بديعة، الجذور التوراتية للعنصرية الصهيونية، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد،2002، ص 34-36
(14) وكان من أبرزهم المفكر الصهيوني موسى هس (1812-1875) فهو أول من طرح تعريفاً لليهود على أساس بيولوجي أو عنصري حين ذكر أن العرق اليهودي من الأعراق الرئيسية في الجنس البشري وأن هذا العرق قد حافظ على وحدته رغم التأثيرات المناخية فيه وقد تنبأ بصراع سيكون بين الأجناس، وقد داعبت هذه الفكرة تيودر هرتزل حتى أنه كان يستخدم عبارات مثل (الجنس اليهودي) وكذلك الفيلسوف الألماني مارتن بوبر (1878-1965) حيث عرف اليهودي في هذا الإطار واعتبر أن الدم قوة متجذرة في الفرد، ونظراً لأن الدم يجري في عروق اليهود فإنه يربطهم بالتربة لذلك كان يعتبر اليهود آسيويين فيقول"لأنهم إذا كانوا طردوا من فلسطين، فإن فلسطين لم تطرد منهم" ونتيجة لهذا الاعتقاد السائد نجد اليهود يحسون بالفخر عندما يبدي اخوانهم من ذوي الدم اليهودي تفوقاً أخلاقياً أو ثقافياً أو موهبة خاصة حتى إذا كان هؤلاء النابهون قد تخلوا عن الإيمان بالدين مثل اسينور وماركس. انظر: المسيري، الصهيونية والعنف، ص35-37
(15) انثروبولوجيا: ويسمى بعلم الإنسان، وهو العلم الذي يدرس النوع الإنساني والظواهر المتعلقة به مثل دراسة الاختلاطات الاجتماعية والجسمية لدى البشر. انظر: الصالح، مصلح، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط1، دار علالم الكتب، الرياض، 1999م، ص42
(16) ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ط1، دار القلم، دمشق، 1985م، ص35
(17) ظاظا، حسن، الشخصية الإسرائيلية، ص35-36، نقلاً عن أوجين بيتار، الأجناس البشرية في التاريخ، باريس
(18) سفر استير 8: 17
(19) نحميا 13: 22-25

(20) سفر اللاويين 20: 24-26
(21) سفر التثنية 7: 6-8
(22) التلمود البابلي، سفر الآباء، م13، ص344-345
(23) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م5، ص72
(24) انظر: الشامي، رشاد، الشخصية اليهودية والروح العدوانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986، ص29
(25) فورد، هنري، اليهودي العالمي،(تعريب: خيري حماد)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص59
(26) ظاظا، حسن، ابحاث في الفكر الديني اليهودي، ص 101
(27) بتصرف، الميداني، عبد الرحمن حبنكة، مكايد يهودية عبر التاريخ، ط4، دار القلم، دمشق،1982م، ص12-13
(28) طويلة، عبد السلام، مغالطات اليهود من واقع أسفارهم، ط1، دار القلم، دمشق، 2007، ص 23
(29) كنعان، جورجي، الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، ط1، ج1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، ص 121
(30) أمين، الجذور التوراتية للعنصرية الصهيونية، ص63
(31) سفر العدد 23: 24
(32) سفر التكوين 24: 2-3
(33) سفر التكوين 28: 1
(34) سفر الخروج 23:23-33
(35) سفر التثنية 7: 2-8
(36) انظر: سفر التثنية 2: 33-35، سفر التثنية 3:3-6، ويشوع 8: 18-26، وسفر القضاة 9: 5، ويشوع 10: 28-30، ويشوع 11: 1-22، وسفر صموئيل الأول 6: 19، وأخبار الأيام الأول 21: 24، وسفر صوئيل الأول 15: 2-3
(37) انظر: روهلنج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص51
(38) سفر الخروج 12: 16
(39) انظر: روهلنج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص 52
(40))) المصدر نفسه، ص51
(41) المصدر نفسه، ص 54
(42) انظر: المصدر نفسه، ص56-58
(43) المصدر نفسه، ص 60
(44))) هو الإشراق أو الضياء وهو مخطوط مكتوب بالآرامية يتضمن مجموعة شروح لأسفار موسى الخمسة، ويعد هذا الكتاب المحرك والموجه الأساسي لحركة القبالا اليهودية وينسب إلى الحاخام (شمعون بن يوحاي)، بتصرف، الشامي، التلمود أصله وتسلسله وآدابه، ط1، (ترجمة شمعون مويال)، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 2004م, ص27
(45) براناتيس، الأب آي. بي، فضح التلمود (تعاليم الحاخامين السرية)، ط1،(إعداد زهدي الفاتح)، بيروت: دار النفائس،1974، ص147
(46) فورد، اليهودي العالمي، ص 84
(47) الزعبي، الأرقم، حقائق عن اليهودية، ط1، الدار المتحدة للطباعة،1990م، ص 232
(48) سفر التثنية 7: 6-9
(49) سفر التثنية 14: 1-2
(50) التلمود البابلي، القسم الرابع (نزيقين)، ط1، 13م، مركز دراسات الشرق الأوسط، 2011م، ص23
(51) المشنا، وصايا الآباء، 18/3، أورده ظاظا، أبحاث في الفكر الديني اليهودي، ص 111
(52) "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه.." سفر التكوين 1: 26-28 وتكرر هذا المقولة في نفس السفر"هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله بحمله" سفر التكوين 5: 1
(53) روهلنج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص 46
(54) انظر: المصدر نفسه، ص41-42
(55) انظر: سفر التكوين: 6: 1-13، 9: 20-27، وروهلنج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص43، 46-47، والبار، محمد علي، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم (دراسة مقارنة)، ط1، بيروت: الدار الشامية، 1990، ص15-17
(56) انظر: الميداني، مكايد يهودية عبر التاريخ، ص12-13
(57) بتصرف، الزعبي، محمد علي، دفائن النفسية اليهودية، بيروت، 1986م، ص 24
(58) سفر التثنية 7:20-25
(59) انظر: الميداني، مكايد يهودية عبر التاريخ، ص13، وطويلة، مغالطات اليهود من واقع أسفارهم، ص 18

(60) سفر التثنية 23: 5-6
(61) القرطبي، أبي عبد الله أبي بكر (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط1، ج7، (تحقيق عبدالله المحسن التركي)، موسسة الرسالة، بيروت، 2006م، ص 388-389
(62) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م5، ص 76
(63) سفر التكوين 13: 4-15
(64) سفر التكوين 15: 18
(65) سفر التكوين 17: 7-12
(66) انظر: كنعان، جورجي، من يجرؤ على محاكمة الإله، دار الطليعة، بيروت، 2003، ص 118-119
(67) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص 128-129
(68) انظر: سفر التكوين 16: 16
(69) انظر: سفر التكوين17: 26
(70) انظر: آل عمر، محمد بن علي، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ط1، مجلة البيان، الرياض، 2003م، ص217-219
(71) سفر التكوين 17: 18-22
(72) انظر: سفر التكوين 2: 9-13
(73) انظر: سفر التكوين 26: 1-5
(74) سفر التكوين 35: 9-13
(75) سفر التثينة 11: 23-25، وسفر يشوع 1: 2-6، وسفر اللاويين 26:45
(76) سفر الخروج 6: 6-9
(77) المسيري، موسوعة اليهود اليهودية والصهيونية، م5، ص76
(78) انظر: سفر التثنية 11: 8-9، 16-17، وسفر الملوك الثاني 9: 6-7
(79) انظر يشوع 24: 22-23، والقضاة 3: 4-8، 10: 6
(80) انظر: المسيري، الموسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، م5، ص76
(81) سفر التثنية 9: 1-6
(82) انظر: التل،عبد الله، جذور البلاء، ط1، بيروت: دار الإرشاد للطباعة والتوزيع 1971م، ص13، والمسيري، الموسوعة اليهود واليهودية، م5، ص76
(83) بتصرف، آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ص 278-279
(84) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، م 5، ص 240
(85) انظر: التل،عبد الله، جذور البلاء، ط1، بيروت: دار الإرشاد للطباعة والتوزيع،1971م، ص24، وظاظا، أبحاث في الفكر الديني اليهودي، ص109.
(86) بتصرف، هالسل، جريس، النبوءة والسياسة، ط2، القاهرة: دار الشروق، 2003م، ص 56-57
(87) بتصرف، دانزول، البيرتو، اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهودية، ط1، (ترجمة ماري شهرستان)، الأوائل، دمشق، 2004م، ص 61
(88) انظر: سفر التكوين 9: 24-27
(89) انظر: أحمد، خليل إبراهيم، إسرائيل والتلمود، القاهرة: الوعي العربي، 1967م، ص47
(90) بتصرف، دانزول، اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهودية، ص62
(91) بتصرف، البرتو دانزول، اليهودية والغيرية، ص62
(92) سفر التكوين 22: 17-18
(93) سفر التثنية 7: 16
(94) سفر الخروج 23: 23
(95) مأخوذة من كلمة القبالا وهي فلسفة القبول، ومذهب القائلين أن الإيمان هو قبول التراث، وقوامها الفكر العبدي الباطني المأخوذ من الجذر (ق، ب، ل) بمعنى الاستسلام والقبول ويقصد به الإجابة إلى الشيء سراً، وتفرض الاستجابة السرية على المتقبل لهذا الفقه أن لا يعلنه فالإعلان يقلل من قيمة الشيء حسب اعتقادهم. انظر، الحفني، عبد المنعم، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، باب القاف، مكتبة مدبولي، ص169، عباس، اميل، القبالا والسحر اليهودي، ط1، مكتبة السائح، طرابلس، 2005م، ص9
(96) انظر: المسيري، الموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م5، ص 240-241
(97) سفر اشعيا 61: 5-6

(98) بتصرف، رخلافسكي، سفي، حمار المسيح، (ترجمة إسماعيل دبج)، ط1، دار كنعان، دمشق، 2003م، ص241-242
(99) بتصرف، رخلا فسكي، حمار المسيح، ص 241-242
(100) انظر: روهلنج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص 51-53
(101) داروين، تشارلز روبرت (1809-1882م). باحث وعالم بريطاني عكف على دراسة علوم الطبيعة، واقترن اسمه بنظرية النشوء والارتقاء وبها اشتهر. وكان داروين يقول إن كل الأنواع الحية من نباتات وحيوانات قد تطورت تدريجيًا من أصول مشتركة خلال الملايين من السنين التي مرت عليها. عرض داروين نظرياته في كتابه أصل الأنواع (1859م). الموسوعة العربية العالمية، ج1،ط1، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996، ص 219-221.
(102) وثيقة سرية تشتمل على مشروع يهدف إلى السيطرة على العالم، قدّمه هرتزل موسس الصهيونية العالمية إلى المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد بمدينة بازل عام 1897م وهو اتفاق يرسم خطوط مؤامرة يهودية لفرض سلطانهم على شعوب العالم. انظر، عطية الله، أحمد، القاموس السياسي، ط3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968م، ص197-198
(103) التونسي، محمد خليفة، الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، ط3، القاهرة: مكتبة دار العروبة، ص172
(104) المصدر نفسه، ص 194
(105) يوسف يوسف، الأغيار في الثقافة اليهودية، ط1، دار القلم، دمشق، 2000م، ص37
(106) بتصرف، الزعبي، الأرقم، حقائق عن اليهودية، ط1، الدار المتحدة للطباعة،1990م، ص60-61
(107) سفر التثنية 7: 2-4
(108) انظر: سفر التكوين 24: 1-6 / و28: 1-4
(109) شاحاك، إسرائيل، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ط5، (قدم له ادوار سعيد)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1999م، ص 146
(110) ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص192
(111) انظر: المصدر السابق، ص 192
(112))) المصدر السابق، ص 192
(113) بتصرف، عبد الحميد، عرفان، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، ط1، عمان: دارعمار،1997م، ص123-128
(114) بتصرف،المسيري، الموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م5، ص240
(115) انظر: منى، زياد، تلفيق صورة الآخر في التلمود، قدمس، بيروت، 2002، ص 165
(116) بتصرف،المسيري، الموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، م5، ص240
(117) سفر الخروج 13:20-17
(118) هو كتاب يشتمل إجمالاً على أحكام الشريعة اليهودية في الأمور المشتركة بين الإنسان ورفيقه أو بين الرب، قام بتأليفه يوسف قارو، وهو من حكماء صفد في القرن السادس عشر". الشامي، رشاد، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002م، ص 294
(119) شاحاك، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ص130
(120) انظر: المصدر نفسه، ص 130-131
(121) بتصرف، ظاظا، أبحاث في الفكر الديني اليهودي، ص 116
(122) المصدر نفسه، 116-117
(123) انظر: التلمود البابلي، م17، القسم الخامس (قوداشيم)، الباب الرابع (بكورات)، ص 13، م 13، نزيقين، عافوده زاره، ص33
(124) لينتال، إسرائيل ذلك الدولار الزائف، ص 62
(125) ظاظا، أبحاث في الفكر الديني اليهودي،ص 111
(126) المسيري، الموسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، م5، ص240
(127) رزوق، اسعد (1991)، التلمود والصهيونية، ط2، الناشر للطباعة والتوزيع والإعلان، ص52
(128) ظاظا، الشخصية اليهودية الإسرائيلية، ص50
(129) السنهدرين: كلمة يونانية يطلقها اليهود على (المؤسسة القضائية) أو (محكمة الشريعة العليا) المكونة من 71 شخصاً، وتأسست في فترة الهيكل الثاني. انظر: الشامي، رشاد، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002م، ص 221
(130) بتصرف بسيط، ظاظا، الشخصية اليهودية الإسرائيلية، ص 51
(131) يطلق هذا الاسم، بشكل خاص، على طائفة اليهود، وتنظيمهم الداخلي في أي مدينة. ويوجد لهذا التنظيم شكل مميز منذ فترة الهيكل الثاني وحتى الآن، ويهدف هذا التنظيم لتنفيذ الفروض الدينية والعناية بمؤسسات الصدقات والتمكن من تنفيذ القضاء وفقاً لأحكام

التوراة". الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص 263

(132) للمزيد ارجع، ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ص 58-64

(133) الفاتح، اليهود، ص44

(134) بتصرف، ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ص70-72

(135) انظر: ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ص70-72

(136) انظر: المصدر نفسه، ص 70

(137) بتصرف، شلبي، أحمد، مقارنة الأديان (اليهودية)، (ط12)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية, 1997م، ص101-102

(138) عاشور، سعيد عبد الفتاح، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد، بيروت، 1977م، ص87

(139) الفاتح، زهدي، اليهود، ط1، دار النفائس، بيروت،1971م، ص78

(140) سفر التثنية 1: 8

(141) سفر اللاويين 25: 46

(142) انظر: ابو المجد، صبري، نهاية إسرائيل، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1960م، ص58-59

(143) انظر: علي، ياسر، المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، ط1، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، 2009م، ص45-48، والكيلاني، الإرهاب يؤسس دولة، ص171.

(144)ارجع للمزيد: الكيلاني، الإرهاب يؤسس دولة، ص211-212.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

دار الكتاب المقدس في العالم العربي، (1982م)، الكتاب المقدس.

مركز الشرق الأوسط للدراسات(2011م)، التلمود البابلي، كتاب نزيقين، عفودا زاره، ط1، 24م.

ابن حزم، الإمام أبي محمد علي الظاهري (ت 456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط1، 5ج، المطبعة الأدبية، 1317هـ.

أبو الروس، ايليا (1964م)، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، ط1، بيروت: منشورات دار الاتحاد.

ابو المجد، صبري (1960م)، نهاية إسرائيل، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة.

أحمد، خليل إبراهيم (1967م)، إسرائيل والتلمود، القاهرة: الوعي العربي.

آل عمر، محمد بن علي (2003م)، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ط1، الرياض: مجلة البيان.

أمين، بديعة (2002م)، الجذور التوراتية للعنصرية الصهيونية، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية.

البار، محمد علي (1990م)، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم (دراسة مقارنة)، ط1، بيروت: الدار الشامية.

براناتيس، الأب آي. بي(1974م)، فضح التلمود (تعاليم الحاخامين السرية)، ط1،(إعداد زهدي الفاتح)، بيروت: دار النفائس.

التل،عبد الله (1971م)، جذور البلاء، ط1، بيروت: دار الإرشاد للطباعة والتوزيع.

التونسي، محمد خليفة، الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، ط3، القاهرة: مكتبة دار العروبة.

دانزول، البيرتو (2004م)، اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهودية، ط1، (ترجمة ماري شهرستان)، الأوائل، دمشق.

ديب، سهيل (1972م)، التوراة تاريخها وغاياتها، ط1، بيروت: دار النفائس.

رخلافسكي، سفي (2003م)، حمار المسيح، (ترجمة إسماعيل دبج)، ط1، دار كنعان، دمشق.

رزوق، اسعد (1991م)، التلمود والصهيونية، ط2، الناشر للطباعة والتوزيع والإعلان.

روهلنج (1899م)، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ط1، (ترجمة يوسف نصر الله)، مطبعة المعارف، مصر.

الزعبي، الأرقم(1990م)، حقائق عن اليهودية، ط1، الدار المتحدة للطباعة.

الزعبي، محمد علي(1986م)، دفائن النفسية اليهودية، بيروت.

سعفان، كامل، اليهود تاريخاً وعقيدة، ط2، القاهرة: دار الاعتصام.

شاحاك، إسرائيل(1999م)، الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000 عام، ط5، (قدم له ادوار سعيد)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.

الشامي، رشاد(1986م)، الشخصية اليهودية والروح العدوانية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

الشامي، رشاد(2002م)، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.

شلبي، أحمد (1997م)، مقارنة الأديان (اليهودية)، ط12، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
الصالح، مصلح (1999م)، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط1، دار عالم الكتب، الرياض.
طويلة، عبد السلام (2007م)، مغالطات اليهود من واقع أسفارهم،ط1، دمشق: دار القلم.
ظاظا، حسن (1985م)، الشخصية الإسرائيلية، ط1، دمشق: دار القلم.
ظاظا، حسن (1987م)، أبحاث في الفكر الديني اليهودي، ط1، دمشق: دار القلم.
ظاظا، حسن (1987م)، الفكر الديني اليهودي(أطواره ومذاهبه)، ط2، دمشق: دار القلم.
ظاظا، حسن وعاشور، محمد، شريعة الحرب عند اليهود، ط1، القاهرة: دار الاتحاد
ظاظا، حسن (1990م)، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق.
عاشور، سعيد عبد الفتاح (1977م)، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد، بيروت.
عبد الحميد، عرفان (1997م)، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، ط1، عمان: دارعمار.
عبودي، هنري س(1991م)، معجم الحضارات السامية، ط2، جروس برس، طرابلس، لبنان.
علي، ياسر(2009م)، المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، ط1، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت.
الفاتح، زهدي (1971م)، اليهود، ط1، بيروت: دار النفائس.
فورد، هنري، اليهودي العالمي، (تعريب: خيري حماد)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
القرطبي، أبي عبد الله أبي بكر (ت 671هـ) (2006م)، الجامع لأحكام القرآن، ط1، 24ج، (تحقيق عبدالله المحسن التركي)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
كنعان، جورجي (1995م)، الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، ط1، ج1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت.
كنعان، جورجي(2003م)، من يجرؤ على محاكمة الإله، دار الطليعة، بيروت.
الكيالي، عبد الوهاب (1979م)، موسوعة السياسة، ط1،7ج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
لينتال، الفريد (1965م)، إسرائيل ذلك الدولار الزائف، ط1، (تعريب عمر الديراوي)، دار العلم للملايين، بيروت.
المسيري، عبدالوهاب (2001م)، الصهيونية والعنف، ط1، دار الشروق، القاهرة.
منى، زياد (2002م)، تلفيق صورة الآخر في التلمود، قدمس، بيروت.
مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (1996م)، الموسوعة العربية العالمية ج1،ط1، الرياض.
الميداني، عبد الرحمن حبنكة (1982م)، مكايد يهودية عبر التاريخ، ط4، دمشق:دار القلم.
هالسل، جريس (2003م)، النبوءة والسياسة، ط2، القاهرة: دار الشروق.
يوسف يوسف (2000م)، الأغيار في الثقافة اليهودية، ط1، دار القلم، دمشق.

Superiority Complex in Jewish Religious Thought and its Impact on the Jewish Character

*Islam Abdelwahab Al-Shawabkeh, Mouhamad Al-Khatib**

ABSTRACT

This research aims to discuss one of the most serious issues impact in the contemporary Arab reality, a superiority complex for the Jews, where sheds light on the concept of this complex, and causes inherent in the essence of Jewish religious thought, and manifestations, and its impact on the Jewish character in dealing with the other outside of God's people circle the chosen.

Keywords: Superiority Complex, Jewish Religious, Jewish Character.

* The University of Jordan. Received on 29/5/2016 and Accepted for Publication on 28/12/2016.